أوراق إستراتيجية

المعارضة السورية ومشكلات التوافق الداخلي

بقلم طوني بدران؛ مركز الحرية في الشرق الأوسط

يعود سبب نجاح الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد في الحفاظ على حفظ فرض سيطرته خلال العقود الثلاث الماضية إلى مهارته الكبيرة في استعمال الحزم واللين لتفريق المعارضين للنظام السوري واللعب على حبال العرقية والطائفية والإيديولوجية.بينما فشل ابنه وخليفته في الحكم بشار بالتعامل مع هذه التقسيمات. فقد ساهمت الظروف الدولية المضطربة والفشل الضخم للسياسات الأجنبية بالإضافة إلى وضع الاقتصاد المزعزع في تفويض النظام عوضا عن جعله أداة للقمع. مصدر القوة هذا يبقى فعالا في إسكات وزرع الرعب في المنشقين عن النظام بشكل فرد. إلا أنه يبقى غير فعال في اعتراض إجماعهم على مطلب تغيير النظام. ومع هذا كله ، تبقى المعارضة السورية ضعيفة ومعزولة عن الرأي العام والشعب السوري بشكل كبير. هذا موطن ضعف خطير ، في وجه دولة تتغلغل في عصب حياة مواطنيها وتتدخل حتى في أمورهم اليومية. إن الواقع الذي يظهر انجذاب طبقة المثقفين السوريين لتغيير النظام وبتلخيص لكلام وينستون تشيرش في وصف الحالة السورية فان هذا الانجذاب لا يبشر بنهاية الصراع لأجل الديمقراطية في سوريا بل حتى لا ينذر ببدء النهاية. إنه في حالته القصوى ينبئ بنهاية البداية.

الإصلاح والتغيير:

لقد تقسمت المعارضة في الحكم البعثي بين هذين العنوانين أي الإصلاح للنظام وتغييره. لقد نجحت الدولة ولسنوات عدة خمد أصوات المعارضة وعزلها من خلال القمع والرقابة. بالمقابل ، قدمت جرعات من التحرر الاقتصادي والسياسي المطلوب لتدعيم التفاؤل في هذا الوضع الحساس. وفي أجواء انتقاديه كبيرة من قبل الجهات المثقفة هذه الأجواء الايجابية كانت تقول أن الأحوال ستكون أفضل من الماضي وأن الحاضر أفضل من أي بديل.

إن خيط دمشق كان ببساطة الأخير في سلسلة النصوص، ابتداء من حركة حافظ الأسد التصحيحية ببداية السبعينات ، والتي هدفت إلى ملاحقة المثقفين السوريين واعتقادهم أن الإصلاح ستؤدي إلى تغيير حقيقي . بدأت بالولوج عام ١٩٩٠عندما سمح لرجال الأعمال المدنيين الأحرار بالفوز في الانتخابات البرلمانية وحين سمح أيضا لهم بانتقاد النظام الاقتصادي في سبيل التحرر الاقتصادي في العلن.

إن صورة بشار كإصلاحي ظهر التأييد لها من خلال انتخابه وترقيه واستلامه لجزء من صفقة البيع هذه. كان هذا بتأثير من الأسد في نظام سيولة البنوك السورية كأحد المحفزات للذين لا يستحقون ذلك الأمر الذي شجبه رياض سيف بشده.هذا التباين ظهر من خلال قضية حين اجتمع بشار مع البرلمان السوري في كانون الثاني عام ٢٠٠٠ ورأينا ملاحظاته مدونة في اليوم التالية في الصحف التابعة للدولة.

بالرغم من نجاح الأسد الابن بعد وفاة والده في حزيران ٢٠٠٠، إلا أن تناقضا بديهيا ظهر في شعار التغيير عبر الاستمرار. أن أحزاب النظام السوري المتنوعة توافق على مبدأ الخلافة الوراثية لأنهم كانوا يتوقعون من بشار أن يحافظ على تقسيم الفرق في سوريا وتقبله الشعب

السوري لظنهم أن بشار سيغير هذا النظام. إتبع بشار إستراتيجية ثالثة وهي تغيير تقسيم الفرق والمحافظة على النظام. ففي خلال الأشهر الست الأولى لتوليه منصبه ، أرخى الأسد الخناق عن الحرية في التعبير وصدّق بمفهوم ضمني عريضة مبكرة من قبل الإصلاحيين الجدد خارج الحكومة. بيد أن ربيع دمشق وحسب قول أحد المحللين السياسيين كان مؤقتا وقد عالج بحذر الانفتاح السياسي. هذه العملية أدارها الأسد محاولا إحكام السيطرة من بعيد على منافسيه وتعزيز قبضته على السلطة من خلال تقديم الدعم من خارج النظام. وما إن أحكم الرئيس الجديد قبضته على النظام الأمني حتى قام بتقليص نشاطات الإصلاحيين. بالرغم من أنه قلص من صلاحيات وقوة "الحارس القديم" يقرب خاصته ويعطي أقرباءه خصوصية وعلى وجه الخصوص ابن خاله رامي مخلوف وأخيه عاصف شوكت وزوج أخته بشرى رئيس الاستخبارات العسكرية حاليا.

أدى هذا الحصر في النظام إلى انقلاب رئيس الوزراء السابق عبد الحليم خدام في خريف ٢٠٠٥. معظم الإصلاحيين التقدميين الشهيرين رفضوا أن يقبلوا منظومة العلاقات هذه الأسد على إنهاء ربيع دمشق . وقد بلغ الموضوع أوجه في احتفال سيف بعدما هدد علنا بفضح التحويلات القانونية لملكية الهواتف المحمولة المربحة الخاصة بمخلوف و ٩٠ من أهم القياديين الأحرار في سوريا .

كان من الممكن أن يكون هذا كافيا لولا لم يرتكب الأسد خطأ فادحا في العراق ولبنان . لقد أثار الأسد عاصفة من الانتقادات الدبلوماسية العربية مؤديا إلى تداعي السيطرة على لبنان وخسارة البلايين من الدولارات من مصادر دخل لبنان السنوي . هذه الإخفاقات في بلد تعود على التحكم بالقدرة السياسية لإدارة دولة حافظ الأسد أسئلة أججت الاختصاص من هذا النظام. لقد وشمت هذه السلطة على أنها فاقدة للأهلية وواهنة القوى وهي تترنح أمام الضغوطات والمصاعب.إضافة إلى أن الوصاية الغربية والى حد ما السعودية تضع هذا النظام تحت الرقابة الدولية الشديدة مشجعين بذلك المعارضة . إن كان هذا غير كاف لتشويه سمعة الإصلاح فان فشل النظام لتقديم أي إصلاح سياسي أساسي قد تأكد في مؤتمر حزب البعث في حزيران ٢٠٠٥ التي أزالت أي شك .لقد سجلت نقطة تحول في تشرين أول ٢٠٠٥ خلال إعلان دمشق من قبل المعارضين السوريين التي طالبت بالتغيير لا الإصلاح .

تحت الرقابة الدولية الشديدة مشجعين بذلك المعارضة وبقوة .أن كان هذا غير كاف لتشويه سمعة الإصلاح فان فش النظام بتقديم أي إصلاح سياسي جذري قد تأكد في مؤتمر حزب البعث في حزيران ٢٠٠٥ التي ما أزالت أي شك.

لقد سجلت نقطة تحول في ت١ ٢٠٠٥ خلال إعلان دمشق من قبل المعارضين السوريين الذين طالبوا بالتغيير لا الإصلاح للنظام . بعد ذلك بفترة وجيزة، حاول عدد من اليساريين والقوميين العرب تنظيم فريق بديل من خلال إعلان حمص الذي دعا للإصلاح وحذر من الأخطار الأجنبية التي تواجه سوريا مرددا أي هذا الإعلان ، نداء الأسد لمعارضة قومية تتلاعب بأحكام النظام .إن إعلان حمص فشل في كسب أي تأييد وسرعان ما تم حذفه من الذاكرة معلنا بذلك موت حركة الإصلاح كإستراتيجية يمكن الوثوق بها.

الانقسام الإسلامي العلماني :

إن معارضي النظام البعثي السوري قد تقسموا إلى مخيمات علمانية وإسلامية منذ حملة الإخوان المسلمين للانقلاب على النظام في الربع الأخير من القرن الماضي، الأمر الذي زرع خوفا عميقا من المسلمين السنة بين المدنيين السوريين. ومن دون أي سؤال، فان تحفظ الليبراليين المنشقين الأكبر يكمن في تخوفهم من الإطاحة بالنظام مما يعني انهياره ووصول المسلمين السنة إلى سدة الحكم أي وقوع حرب أهلية وبالتالي فوضى عارمة لا يمكن تفاديها.

بالنتيجة فان النظام السوري كان مهووسا في إخماد أي حركة للحوار بين المعارضة العلمانية والمسلمة مغلقا الباب لأي نوع من التسوية من شأنها سد الهوة الموجودة بينهما . ومن سياسات النظام المعتمدة في ذلك اعتقال اليساري المتطرف الذي دافع عن فكرة الحوار بين الإخوان والعلمانيين أوائل ١٩٨٠ رياض الترك الذي حكم عليه بإمضاء عقوبة طويلة الأمد في السجن .

وفي أواخر ١٩٩٠ رفض قائد الإخوان المنفي خارج البلاد علي صدر الدين البيضوني كل نداءات الحركة لدولة إسلامية ودخل في جولة مفاوضات سرية وغير مباشرة مع السلطة أملا بذلك كسب الحرية لبعض الآلاف من المعتقلين التابعين لحزبه والذين قضوا مدة طويلة جدا في السجن . وفي محاولة أخرى منه لكسب الإذن في إرجاع البعض الأخر من الخارج .وفعلا قام النظام بإطلاق العديد من الإخوان المسلمين من السجن بتدرج زمني إلا أن النظام لم يكن يرحب فكرة العفو العام أ فكرة إبطال للقانون ٤٩ عام ١٩٨٠ الذي أقر لنفي الإخوان .

وفي رد على ذلك ، عدّل بينوني برنامج الإخوان المسلمين السياسي لينادي بالإصلاحات الديمقراطية الليبرالية وتركيز الجهود للتعاون مع قوى المعارضة العلمانية .بيد أن النظام تشدد في التعامل مع مؤسسي هذا التعاون وعاقبهم بقسوة . وفي أيار ٢٠٠٥ ، اعتقلت قوى الأمن الكاتب عي عبد الله وثمانية من أعضاء حلف جمال الأطاسي أحد صالونات القوميين العرب السياسية بعد أن قرأ حديث لاتفاق الإخوان المسلمين تتعلق بعدم العنف والديمقراطية في أحد اجتماعاتها . أطلق الكل عدا عبد الله بعد اتفاق على عدم إقامة التواصل مجددا مع الإخوان المسلمين وافلق هذا الصالون تماما فيما بعد.

بالرغم من التهاوي أصرت القيادات المعارضة على إيجاد أجندة إصلاحية مشتركة مع الإخوان . قائد الحزب الشيوعي السوري رياض الترك وأكثر الأعضاء احتراما في المعارضة العلمانية والوحيد الذي لا يجرؤ النظام على اعتقاله كان قد اجتمع مع بينوني في لندن تموز ٢٠٠٥. وبما أن أي محاولة للتنسيق بين العلمانيين والمسلمين كانت تواجه بردات فعل قاسية من قبل النظام ، كان إعلان دمشق موضع نقاش للمعارضة الشيوعية كإعلان للمبادئ التي يحتضنها الجميع والتي يتوافق عليها الإخوان أيضا.ومن خلال تضمين إعلان دمشق اعترافا بأن الإسلام هو دين وايديولجية الأكثرية وهو مركب الحضارة الأقوى استطاعت المعارضة العلمانية كسب الإخوان وقبولهم . هذه التركيبة تم انتقادها من الناشطين العلمانيين المستقلين وغير المسلمين من المعارضين فحاول بعضهم تكوين مجتمع أكثر علمانية فشكلو إعلان أليبو من غير حضور منظميه . بيد أن إعلان أليبو باء بالفشل تماما كإعلان حمص في حصد الدعم الذي حصل عليه إعلان دمشق.

تقسيم العرب والأكراد :

هو شرخ قديم وعميق في المعارضة السورية بين العرب والأكراد . يشكل الأكراد ١٠ % من سكان سوريا . ونتيجة الهيمنة الحضارية والسياسية للأكثرية الناطقة باللغة العربية في حجز سلطة البعثيين، كرست اللغة العربية كلغة رسمية وحيدة للجمهورية العربية السورية مما أدى إلى تهميش الأكراد والى تراجع لتأييد النظام غير مسبوق.اذ أن ما يقارب ٢٥٠ ألف الى ٣٠٠ ألف كردي سوري جنسيتهم خاصة بعد السياسة التحيزية عام ١٩٦٢ التي مارسها النظام البعثي .وفي فترة قصيرة تم إسكات السوريون الأكراد فقد تم توزيعهم على طول ثلاثة مناطق غير متقاربة بعيدا على الحدود الشمالية وفي الضواحي الداخلية في محاولة لمنع التكتلات . والآن يفتقد الأكراد إلى قوة سكانية والى تلاصق واتحاد مع إخوانهم في العراق وتركيا . بالإضافة إلى عدم وجود جبال ليحتموا إليها من بطش السلطة.

وفي أواخر عام ١٩٩٠ ، بدأت العديد من التنظيمات السياسية الكردية المختلفة بالتنظيم جماهيريا تأسيا بتأسيس تجمع الأكراد في شمال العراق. توافق معظمهم على مجموعة من المطالب الحضارية والثقافية : إحداها إقرار اللغة الكردية كلغة رسمية وفرض الاحتفال بالأعياد الكردية الرسمية وغيرها من المطالب ... وقد طالب البعض أمثال حزب ياكيتي بإقامة تجمع فدرالي قوي للمناطق الكردية . وبعد دخوله المجلس عام ٢٠٠٠ ، سمح بشار الأسد للناشطين الأكراد بالعمل بحرية أكبر كما سهل الضوابط على اللغويين الأكراد والمصطلحات الحضارية مع عدم رفع الحظر عنها بشكل رسمي .في آب ٢٠٠٢ وبعدما تبينت نية الولايات المتحدة في القضاء على صدام حسين قام بشار الأسد بزيارة مقاطعة الأكراد في زيارة هي الأولى من نوعها لمسؤول سوري منذ أكثر من ٤٠ سنة . لم يكن يتوقع من هذه الزيارة الكثير إلا أنها أدت بالناشطين الأكراد إلى تنظيم تمثيل شعبي غير مسبوق منددة بحقوقهم الثقافية واللغوية ومعلنة انسحاب التمثيل الكردي من المجلس

عام ك١ ٢٠٠٢ .

أثار هذا الانسحاب حفيظة السلطات التي ردت عليه بقسوة فاعتقلت وعذبت العديد من الناشطين لأكراد عبر السنين. وقد كثفت السلطة بدورها جهودها لتسليح العرب الفقراء على طول الحدود السورية الشمالية ضد الأكراد في تلك المنطقة .

إن تصاعد التصادم البطيء للأكراد مع النظام جاء مستقلا لصراع المعارضة العربية في الإصلاح كما ازداد الجدل حول المصالح الكردية فقط. هذا كله ساعد في تحريك الشارع الكردي لكن أبقاه معزولا عن باقي المجتمع السوري . " لم يلعب الأكراد دورا سياسيا هاما في السياسية السورية " كما شرح المحامي عن حقوق الإنسان أنور البوني " لقد اقتصر دورهم على مطالب من السلطة فهم لم ينخرطوا في حوار مع باقي المجتمع السياسي السوري ".

كان هذا جليا في آذار ٢٠٠٤ حينما فتحت قوى الأمن النار على جمهور كردي أعزل كانت جريمته الوحيدة ترديد شعارات مؤيدة لبوش في مباراة كرة قدم فاحتدم الصراع مع الجمهور العربي والمخابرات استنادا لبعض الشهود العيان في الشمال الشرقي لمدينة قامشلي. أشعلت هذه الحادثة الغضب الكردي لمدة ٨ أيام وقد انتهت بمقتل ما يقارب ٤٠ شخصا ٣٣ من الأكراد وسبعة من العرب ، كما جرح المئات واعتقل ما يفوق ٢٠٠٠ شخص كما بلغت الخسائر المادية ما يفوق كلفة مئات الملايين من الدولارات . وقد أدانت العديد من فرق المعارضة العربية هذا الجرم.

ومع وقوع هذه الحادثة والأضرار التي تسببت بها تزايد شد الخناق على الأكراد من قبل السلطة في محاولة لتفريقهم وإبعادهم عن الصفوف الأمامية للمعارضة العربية المهيمنة .وفي ربيع ٢٠٠٥ قابل المراقبون للحكومة الأكراد المشردين في مقاطعة الحسكة الشمالية لكن لا نتيجة .وفي مؤتمر حزيران ٢٠٠٥ الذي عقده حزب البعث الذي لم يفشل في تحصيل الحقوق المدنية للأكراد فحسب بل كرس فكرة تقسيمهم على أساس عرقي سياسي بل أعطى فرق الأكراد المتناثرة دافعا للانضمام إلى المعارضة العربية العلمانية المطالبة بتغيير النظام .

ان اختفاء ومقتل الشيخ محمد ماشوق الخازناوي المناهض الكردي قبل أسابيع من من عقد الكونغرس اجتماعه الأمر الذي يعتقد أنه إنذار للناشطين الأكراد من قبل المخابرات .كان قد لعب خازناوي دورا أساسيا في حد أواصر العلاقات لردم التقسيم بين الجماعات الكردية وكلا المعارضتين الشيوعية والمسلمة . كان الشيخ المفقود قد التقى بيانوني خلال رحلة إلى بروسلس في الأشهر الثلاث الأولى من بعد ناقشت الأخوية أول بند يتناول حقوق الأكراد .أعتقل رياض دارار الناشط العربي المناهض لحقوق الأكراد بعد خطابه في تأبين خازناوي متهميهن الأخير بتأجيج الصراع العرقي والتحريض عليه فسجن خمس سنوات .

انضمت العديد من الفرق الكردية السورية إلى مواثيق إعلان دمشق الذي نادى بالمساواة التامة بين المواطنين السوريين الأكراد وباقي المواطنين على أساس وحدة الشعب والأرض السورية . بيد أن ثلاث فرق آثرت الانضمام إلى إعلان أليبو الذي رفض مبدأ الفدرالية ولم يعترف بقومية الهوية الكردية وحقوقها وهذه الفرق هي : ياكيتي و أزادي وتيار المستقبل الكردي.

إن جبهة الخلاص الشعبية وجماعات المعارضة الأخرى كانوا أكثر مرونة من البعض في التعاطي بالمطالبة بحقوقهم.فلم يكن لديهم أي مشكلة في أن يقول السوريون العرب أنهم سوريون عرب وجزء من الأمة العربية ولكن لم يكن من المسموح أن يقول السوريون الأكراد أن يقولوا نحن سوريون أكراد جزء من الأمة الكردية.هذا الأمر تمت مناقشته في الكواليس وقد أسهب في شرحه أنور بوني .

وفي اذار ٢٠٠٦ ، قدمت المعارضة العربية الكردية نخبة من الكوادر المعارضة الشيوعية التي رسخت مبادئ المنظمة وأحيت الذكرى السنوية الثانية لثورة كاميشيلي . وفي استناد لأحد التقارير ، أمرت قوى الأمن المشاركين العرب ترك الأمر دون إثارة أي شغب في محاولة لعملية لمّ الشعث.كان العديد ممن شاركوا قد أقصيوا أو اعتقلوا فيما بعد كالكاتب محمد غانم والناشط في حقوق الإنسان نجاتي طيارة وعلي العبد الله .

وخلال صيف ٢٠٠٦ كلف الأسد وزير الثقافة المعين حديثا والي لا ينتمي الى الحزب البعثي نجاح العطار بلقاء المستقلين الاكراد لمناقشة

حقوق الأكراد .الا أن هذا اللقاء لم يسفر عن عن شيء فمن الواضح أن السلطة كانت تريد من الأكراد أن يرفضوا اعلان دمشق من دون جهد منها لتقديم أي عرض جذاب ومرضي لهم.

واذا ما نظرنا الى نوع المعارضة التي أظهرها الأكراد لوجدنا أن النظام كان يواجه مشكلة حقيقية لأسباب عدة . أولا، فرض اللغة الكردية كلغة رسمية في سوريا ودعم سلطة الأكراد في الادارات الحكومية في الشمال الشرقي من سوريا ،يتعارض مع توجهات البعثيين في انتماءاتهم العربية ويثير حنق القوميين العرب عليهم . ثانيا ،ان اعطاء الأكراد حقوقهم سيفتح المجال لحركة معارضة أوسع وأكبر وربما ستنهمر مطالب الأكراد وتتزايد مرة بعد أخرى. ثالثا ، ماديا لا يستطيع النظام أن يتحمل كلفة ارجاع الاراضي التي اغتصبت من الأكراد عام ١٩٦٠ و١٩٧٠ واغضاب العرب الذين اسلموها ، وان استطاعوا فلن يكون هناك طريقة لمعالجة تزايد الادعاءات بدون لفت أنظار العامة لسوء معاملة النظام البعثي التعسفية .

مع ارتداد خدام، دخل لاعب قوي على الساحة ليدعم المعارضة الخارجية ، هذا اللاعب هو عبد الحليم خدام الذي انقلب على النظام أوائل عام ٢٠٠٦.وفي بروسلس التقى خدام وبيانوني حيث أنشاءا حلف معارضة جديد تحت عنوان جبهة الخلاص الشعبية . وبالرغم من الاثنين هم من العرب السنة إلا أنهم دعوا العديد من الأكراد والناشطين غير السنة الموجودين في المنفى للانضمام إليهما . قدمت جماعة أخرى باسم حزب الإصلاح لسوريا بقيادة فريد غدري المدعومة من الأمريكان كبديل علماني متحرر عن جبهة الخلاص الشعبية. بينما ظهر تأسيس جبهة الخلاص الشعبية كخطوة داعمة لتعزيز الانقسام بين المعارضة الداخلية والخارجية من خلال تكوين إطار عمل مؤسساتي مستقل.بيانوني وخدام أصرا على أن جهود المعارضة الخارجية توازي جهود المعارضة الداخلية كون الأخيرة لا تمتلك حرية الإعلان والتصدي للنظام كما أنها لم تلتق بأي مسؤولين أجانب من حكومات أخرى على عكس ما فعلت جبهة الخلاص الشعبية التي التقت بأعضاء من مجلس الأمن الاميركي حتى انها أعلنت خططا لافتتاح مكتب لها في العاصمة واشنطن بينما استقبل الملك عبد الله خدام حديثا عنده.تصر الجبهة أيضا على التزامها الشديد بإعلان دمشق وتدعي التنسيق الدائم مع المعارضة الداخلية .

بعد تأسيس جبهة الخلاص الشعبية، فرض النظام ضغوطات كبيرة على سفراء اعلان دمشق لإدانة خدام والإخوان المسلمين من خلال حثهم على تأكيد وطنيتهم بإدانة خدام .أعرب جاموس وآخرين غيره عن عدم ارتياحهم لماضي خدام وترددهم في العمل معه في العمل معه. وصف الترك تحرك خدام وجبهة الخلاص بالأداء البطيء والمتردد لكنه لن يستجيب لطلب النظام بإدانته. بينما قام البعض بانتقاد الأخوان لتحالفها مع خدام ودافعوا عن طردهم لها من إعلان دمشق وقد رفض معهم زعماء المعارضة ذلك بشدة "ان اعلان دمشق لا قيمة له بدون الإخوان المسلمين هذا ما صرح به بشار لأخبار الوكالة الإيرانية .

إن تحالف الإخوان مع خدام فتح المجال للخروق الدبلوماسية أبرزها في لبنان حيث استقبل قائد الدروز وليد جنبلاط أمراء بيانوني بحرارة عارمة كما التقوا بشكل سري وغير معلن مع بعض قيادات ١٤ آذار.كما قاموا بزيارة لتركيا كل هذا تحت تغطية إعلامية واسعة.

عوضا عن إبراز الخجل من التعاون والتنسيق مع محور الإخوانية السعودية اللبنانية فقد فضلت المعارضة السورية الانضمام إلى المعادين للنظام السوري للرجال من الأعلام اللبنانية إضافة إلى بيانوني والتوافق على إعلان بيروت ودمشق. هذا الإعلان الممضي من ٢٤٧ سوري ولبناني تتضمن مطالب فريق ١٤ آذار في لبنان بما فيها ترسيم الحدود والتعاون الكامل مع تحقيق مقتل الحريري ووقف تهريب السلاح وتبادل السفارات واحترام سيادة واستقلال لبنان .هذا الإعلان لم يقم بتجاوز الخط الأحمر بالتعاون مع أعداء النظام فحسب لكنه تضمن مواقفا لا يمكن السكوت عنها . فبالتعارض مع مقدمة مجلس الأمن في الأمم المتحدة رقم ١٨٦٠ والتي نصت على وجوب تعديل سوريا لتعاطيها وعلاقاتها ووجوب تحديد سياستها تجاه الحدود اللبنانية. قام إعلان بيروت دمشق بمحاولة للضغط على الحكومة السورية لتغيير سياستها الخارجية. وفي نظرة عميقة للدعاية السورية عن لبنان في كونه يستعمل كمحور انقلاب على النظام البعثي في سوريا ورهاب أكبر

من خطط سعودية لقلب النظام لذا وجب الرد على هذا الإعلان .في الأسابيع اللاحقة تعرض السفراء الموالين لاعـــلان بـــيروت دمـــشق لضغوطات كبيرة . فقد اعتقل ما يفوق ١٢ سفير وطرد ما يقارب سبعة عشر موظفا من القطاع العام لدعمهم هذا الإعلان. "كان لهـــم مطلب واحد هو أن ينزعوا اسمي من الإعلان" هذا ما أعلنه حازم نهار لمجلة إيلاف واصفا المضايقات بعد اعتقاله من قبل المخابرات .
جميع المعتقلين أطلق سراحهم بكفالة مادية عدا ميشال كيلو وأنور البوني . وقد وجهت ماريا معلوف ،صحافية محسوبة على النظام السوري وتكتب باسمه، اتهاما لكيلو بلقاء اليد اليمنى لوليد جنبلاط مروان حمادي وقبول الرشوة منه.ففي مقابلة جديدة أجاب الأسد عـــن ســـؤال يتعلق بأعضاء إعلان بيروت دمشق بقوله بأنهم يتعاونون مع أعداء سوريا. "ومع كل جولة ثورة على المعارضة ، كان النظام ينجح في قمع الناشطين بشكل فردي، لكنه بقي غير قادر عن منعهم من التنسيق وجمع الأعضاء مع العالم الخارجي وفي ذروة الانكسار، تم انشاء فريق في السويداء وانضم اليه ٩١ من نخبة المجتمع وتم توقيع عريضة لوقف حملات الاعتقالات للناشطين الديمقراطيين وطلب الدعم من قوى الحرية الديمقراطية في العالم.

التقسيم الطائفي:

العلويون هم الفرقة الوحيدة التي وقفت على الحياد، وكان لها وقع أقل تأثيرا واحتكاكا أقل من فرق المعارضة الأخرى. فالعلويون هـــم فرقة إسلامية تشكل حوالي ١٢% من سكان سوريا ، وقد عاشوا حياة هامشية وكان لهم وجود غير مزدهر في حوالي ٤٨ قرية شمال غرب سوريا.وبفضل النظام البعثي الذي خص العلويين اسلم العلويون أهم المراكز وأعلاها في جهاز المخابرات وسيطروا عليه .
استفاد العلويون من النظام البعثي على وجهين ،الأول من سياسات البعثيين الاقتصادية الاجتماعية والتي فضلت الفلاحين من كافة الفئات الطائفية على النظام الإقطاعي .ثانيا، استفاد العديد من العلوييين من الضباط العلويين الكبار ذوو التأثير المحلي لإنشاء شبكات في قـــراهم البعيدة. فضل حافظ الأسد أعضاء من قبيلة الكالبية لكنه ظل متوخيا الحيطة للحفاظ على الروابط الجيدة مع باقي القبائل العلوية .
ولسخرية القدر ، بينما كان نظام الأسد يعتمد على تضامن وقوة العلويين، أعلنت حملة معادية لتثير انطباعا للعلن عن أيديولوجية وأفكـــار العلويين وهويتهم الدينية ولإجبارهم على التصرف كمسلم سني "عامي ."إن رفضها بالسماح لأي اتحـــاد ديـــني ســـلطوي علـــوي أو مؤسسات بالنشأة يعكس رفض الإمبراطورية العثمانية للحالة المرضية للمجتمع العلوي.
إلا أن ثقة العلويين المتزايدة بالسلطة لم تتغير وظلت ثابتة بعد تولي بشار السلطة . إن التحول الكبير في ظروف العلويين المعيشية هو للأمام فخلال أوائل العقود الثلاث لبدئه تطورت وتقدمت بسرعة قياسية . إضافة إلى ذلك ، فان أغلبية العلويين قد أبعدوا عن الدائرة المقربـــة والمتمركزة حول بشار وحلفاؤه.لقد رحل معظم رجال العلويين الأقوياء وأصحاب الكلمة أمثال علي دوبا ومحمد خولي وغازي كنعان.ان جيل العلويين الجدد من القادة أمثال رامي مخلوف وعاصف شوكت ، لديهم صلات ضعيفة مع أرضية العلويين وينظر إلـــيهم كطـــامعين بالسلطة والمال فقط.
هذا لا يغير الواقع بأن الخوف ما زال يوحد العلويين هذا الخوف ينبع من الهيمنة السنية وأتباعها في حال تداعي النظام . وقد أثار إعـــلان دمشق بإعلانه الإسلام كدين وايديولوية الأكثرية القلق عند معظم المفكرين العلويين حتى أولئك الذين لعبوا دورا في المعارضة العلمانية.
وقد اتهم أكثام نايسي أحد أهم المنظمين لإعلان أليبو الاخوان المسلمين بالسعي وراء تأسيس دولة فنوية . وقد وصف كاتب آخر نـــضال نايسي إعلان دمشق "بإعلان الكندهار".
لقد سعى النظام للتركيز ولتوظيف الهيمنة السنة في اعلان دمشق .وقد نشرت صحيفة تشرين اليومية التابعة للسلطة مقالة لنبيل فياض عن السنة الليبراليين والذين عينوا بمناصب عالية في الدولة بعد شهر فقط من اطلاق سراحهم عام ٢٠٠٤ وتحيدا في قسم الخابرات على حـــد

معلومات أحد المصادرالمقربة،ومحذرا في مقالته من أن الأخوان الاسلاميين يتحكمون من بعد بالقوى السنية في سوريا كما أضاف أن اعلان دمشق هو اعلان منحدر ويشتّم من ورائه نهاية سوريا.

يعتقد بعض المحللون أن الهجمات الارهابية امؤقتة في العاصمة السورية من قبل الاسلاميون السنة المتطرفون ،كانت رسالة من المخابرات لزرع الخوف حول ما يمكن لتداعي النظام أن يسبب.ان الجهود السورية لاستكمال العنف في العراق ولبنان يشعل المخاوف حول حصول حرب أهلية في حال تداعي النظام. ولأي انكسار في تضامن العلويين قد يكون قاتلا للنظام لذا فان الضغوطات والعقوبات على المثقفين العلويين الذين أنضموا للمعارضة كانت أكبر وأقسى من تلك التي مورست على رفاقهم .وعلى سبيل المثال،عارف داليله العلوي الوحيد الذي حكم عليه بعقوبة عشر سنوات بعد اعتقاله مع ١٠ من القادة المعارضين والذين حكم عليهم بخمس سنوات فقط لانهم ليسوا علويين .وقد أمضى داليله عقوبته في سجن افرادي بدون مراعاة لأي شروط صحية .كما عومل ناشط علوي اخر بقسوة بالغة اسمه فاتح جاموس الذي زج بزانزانة لا سرير فيها ولا فرشة،وقد ضربه أحد الحراس المخبرين بالاضافة الى أمور أخرى.... بيد أن التهم التي وجهت لجاموس هي الاخطر كما عبر محاميه لمجلة ايلاف وهي موجهة لمعارض ناشط غير الاخوان المسلمين. الحقيقة أن الجبهة الشعبية لم تستطع أن تجد أي سياسي علوي منفي ليرأس مجلس ادارتها ،بالرغم من أنها تزعم أنها تملك أعضاء علويين ولكن الجبهة تبقي هوياتهم غير معروفة.هذا الأمر ليس بالشيء المفاجئ لأن عائلات أولءك ستتعرض للضغوطات البشعة والقاسية في حال تم الكشف عن هويات أولئك الأعضاء.لم يساعد حزب الاصلاح الذي أسسته أميركا في سوريا في تسوية الأمور خاصة بعد تصريحاتها التي ظهرت في رسالتها الالكترونيةفي ٨ أيلول على أن الولايات المتحدة مصممة على اسقاط نظام الأسد قريبا جدا وهي مستعدة لضمان أرواح الضباط العلويين بشرط أن يتركوا مراكزهم ويهجروا معظم المدن السورية ويعودوا الى قراهم قبل ٨ ت٢ كحد أقصى.

من جهة أخرى ، أدانت فرقة منفية أخرى تهديد ضرب الإصلاح السوري .كما صرحت جبهة الخلاص الشعبية بأن اعلان الإصلاح يمس بصالح الأمة الكبرى مضيفة أن من حق المواطنين السورين بغض النظر عن فئاتهم بالعيش في أي مكان يرغبون به.وقد استغلت الجبهة الفرصة لدعوة أعضاء البعث للانضمام اليهم في مشروع وطني خالص لإصلاح ديمقراطي.استغل بيانوني وخدام الاعلام وكرروا أنفسهم ضاربين الأمثالمن تاريخ سوريا في تولية الأقليات المناصب من خلال الانتخابات الحرة.

كما لاحق النظام أي شخص يتجرأ على النقاش في مبدأ التقسيم الطائفي في سوريا.اجتاز هذا الخط المسيحي ميشال كيلو الذي كتب مقالة في أيار ٢٠٠٦ تحت عنوان " المنعيون السوريون" والتي تضمنت تلميحات الى أن الوفيات التي حدثت في لاكيتا تحمل بصمات المخابرات العسكرية . لم يكن كيلو بحاجة الى ذكر المهيمنين العلويين المسيطرين على المنطقة والمهيمن السني فبمجرد قراءة هذه المقالة يستطيع أي سوري أن يفهم يقصده مباشرة .بعد هذه المقالة اعتقل كيلو وقيد الى السجن. وفي آب، لم يسمح له بحضور تأبين والدته الأمر الذي يعتبر حقا طبيعيا لأي مسجون سياسي في سوريا .وبسرية يعرب معظم العلويين عن تخوفهم من الأسد حيث يعتبرون أنه سيقوم بتعريض مستقبل البلاد للخطر. فعوضا عن استعمال الأسد سلاح العلويين الأقوى وهز سيطرتهم على قوى الأمن للتباحث في ضمانات ضد الهيمنة السنية فإنه يستعملها في منع الانتقال أو التبادل على الإطلاق الأمر الذي يخشى أن يسبب زيادة في المتطرفين السنة. قليلون من المعارضين استطاعوا أن يكونوا فكرة عم ما يجب أن يحصل للرموز العلوية المسيطرة على جهاز الإستخبارات الأمنية خلال عملية الانتقال الى الديمقراطية.

الخلاصة :

كان الأسد يملك وقتا ليمنع المعارضة من التوسع من خلال ربط الأمور ودرسها جيدا. فكان من الممكن من سنوات كان لدى معظم

المرشحين العلمانيين قبولا للتحول الى شبه نظام ديمقراطي قريب من نظام حسني مبارك في مصر وكان العديد من رجال الأعمال قد قبلوا بأقل من هذا لو أن الأسد رفع يده قليلا عن الإقتصاد . وفي سنة ٢٠٠٤ كان معظم المرشحين العلمانيين يقبلون باتفاقية تضمن حريتهم الثقافية والحضارية وتعطيهم حقوقهم كمواطنين بشكل حتى الأخوان كانوا مستعدين ليحملوا النظام مقابل عفو عام في قانون ٤٩.

انه عامل الوقت مجددا الذي فشل الأسد مجددا في استغلاله وتقديم عروض جذابة والوفاء بعهود وقام بخطوات غير رسمية لم يقيسها جيدا كعدم نص قوانين ملزمة بحرية ممارسة الثقافة الكردية ،لكنه بالمقابل رسم خطا مختلفا وجديدا وأضاف صرحاً مؤسساتياً للنظام. إن كل الجهود لإسكات معارضيه بصمت ما يشعر أنه يؤمن له ثباتا أكثر وليس انتاجا.

على المستوى الشخصي يلتقي المتحالفون باستمرار مع ضباط المخابرات بدون لفت النظر اليهم. وبالإتفاق نفوا الإصلاح.لقد شجعت التطورات الإقليمية والعالمية المعارضة بشدة. فاتهام النظام السوري باغتيال رئيس مجلس الوزراء اللبناني رفيق الحريري ومحاولة إقحامه في تحقيقات الأمم المتحدة ، بالإضافة الى خسارته هيمنته على لبنان وتراجع علاقته مع الجانب الغربي ومعظم الدول العربية كالأردن والسعودية، قد ساعد المعارضة على التحرك خاصة وأن الدعم العربي والعالمي للنظام قد ضعف.يتخوف العديد من المعارضين من صفقة بين المجتمع الدولي والنظام من شأنه تخفيف الضغط الخارجي ويغير مساره.بيد أن الأسد يعتمد على العراق الذي يعتبره أقوى قوة إقليمية ستظهر في القرن الواحد والعشرين .هذا التحالف وسياسته ستجبر المجتمع الدولي أن يعامله بمبادئه دون أي تنازلات من طرفه.

الآن مات الإصلاح كما قال أحد المحللين السياسيين .إن هدف النظام إعادة خلق سياسة قائمة على شيء بعيد جدا عن الإصلاح. الأسد الذي سمى نفسه يوما مصلحا غربيا متقدما قد عبأ نفسه ليكون مدافعا عن مصالح وقيم المسلمين العرب، يمزج سياسته العلمانية المعادية للغرب مع حملت للأسلمة في منزله.

ان تمثيل الايقونات في سوريا اليوم يصور الثالوث المقدس للأسد والرئيس الايراني محمد أحمدي نجاد وأمين عام حزب الله حسن نصر الله يشكلون ثقافة المقاومة.لقد تلاعب الأسد بحذر في العداء الشعبي تجاه لبنان مما سمح بتسويق هذه الصورة من قبل اسرائيل وأميريكا .

وفي كل الاحوال ،فان تحول الأسد من المصلح إلى المقاوم قد جلب الدعم الكبير لسوريا خاصة من الشباب الذين يشكلون ٦٠% من السكان الذين هم تحت سن العشرين. نجح هذا في عزل القادة المعارضين المسنين وضمن له الحفاظ على السلطة للوقت الحالي وفي نهاية اليوم فانه من غير المحبذ تخفيف العزل الخانق للبلاد لحل مشاكله الاقتصادية الكسيحة أو ملاحقة النموذج التعليمي لسوريا لجمع الشمل مجددا خلف النظام.